أهمية الاتصال

أن تعدد الحاجات وأساليب اشباعها عبر التطور التاريخي لحياة الانسانية، وظهور المشكلات التي تواجهه، قد تدفع الفرد تحت ضغط الحرص على بقاءه ووجوده، الى تأكيد حقه ، بالاتصال الأمر الذي ينتهي به إلى تكوين المجتمع عن طريق الاتصال بالآخرين، وعلى الطرف الثاني نجد تلك القوة التي تدفع هي الأخرى المجتمع، قد تكون تحت خط ضغط الحرص على انتظامه والتعبير عن ذاته،إلى وضع وسائل للاتصال، تتطور وتتحسن، حتى تؤدي بالنهاية، إلى إيجاد كيانات اجتماعية، تتطور أكثر فأكثر، فتحلق التوازنات التي تنشأ بين الفرد والمجتمع[١]

يقول الدكتور إلهيتي انه (لولا الاتصال بين الأفراد لما وجدنا وشائج تربط بينهم ، وما وجدنا مجتمعاً إنسانيا ، أو ثقافة إنسانية، بأي شكل من الإشكال، ولأمست حياة كل فرد وكل مجتمع معزولة عن الأخرى، وأن أحدا لايستطيع إن يتصور الحالة التي تحييها الإنسانية لو لم تكن هناك عمليات اتصالية)[٢]

تصارع من أجل تحقيق حق الاتصال، حتى أصبح ألازما على (الإعلان العالمي لحقوق الإنسان) أن يسجل في مادته التاسعة عشر للأول من عام ١٩٤٨ حق الإنسان في الإعلام والاتصال، بيد أن هذا الحق قد احتاج الى ثلاث قرون كاملة، هي تلك الفاصلة بين اختراع جونتبرغ ، وبين فلاسفة عصر النور، لكي يرسخ حق التعبير وتحيل مكانه في الإعلان العالمي لحقوق الإنسان[٣]

---

[١] صلاح الدين حافظ : حق الاتصال وحرية الاعلام، مجلة دراسات عربية، العدد (١٩)، المركز العربي للدراسات العربة ، (القاهرة ، ١٩٧٩) ،ص ٦٢.

[٢] د.هادي نعمان الهيتي : الاتصال والتغير الثقافي، سلسلة الموسوعة الصغيرة (٢٣) ، دار الحرية للطباعة (بغداد ١٩٧٨)،ص

[٣] صلاح الدين الحافظ : حق الاتصال وحرية الاعلام، مصدر سبق ذكره ،ص ١٣.

أن الأهمية المتزايدة للاتصال والعوامل المرتبطة به ، والتي تؤثر فيه، دفعت باتجاه تركيز الاستفادة من مزاياه ، خاصة وان وسائل الاتصال بدأت تدريجياً لتصبح ذات ارتباط اقوي بإنشاء وتحسين الأوضاع التي تعيشها البلدان اليوم، سواء الاستخدام الشخص لوسائل الاتصال أو بصورة جماعية، ودخول عوامل تؤثر على فعاليات الاتصال، كالتعرض الانتقائي او الانتباه الانتقائي، أو الادراك الانتقائي [١]

ان الناس يستخدمون، وسائل التلفاز، وسائل الاتصال، لأنها تنجز لهم اعمالاً معينة، إنهم يستمعون الى الاذاعة، ويشاهدون التلفاز، ويقرأون الصحف، ليس لان مصدراً خارجياً يريد ايصال شيء لهم، بل لانهم بالذات يشعرون إن وسائل الاتصال تشبع بعض من حاجتهم [٢]

يوضع دانيال ليرنر (Deniel Lerner)، في كتابة (زوال المجتمع التقليدي)، إن التفكير الجاري حول عملية الاتصال ، وتحليل عملياته، هو مفهوم التوجيه المماثل، والذي اصبح شائعاً في اميركا ، والفكرة تقوم على إنه من الممكن ان يكون لدى شخصين ملاحظات وتفسيرات متشابهة، لنفس الشيء، وكلما كان التشابه كبيراً، كلما اصبح التدفق للمعلومات بين الاشخاص اكثر كفاءة، وبالتالي، فان تدفقاً مكثفاً للمعلومات، قد يزيد من التوجه المماثل، وهذا المفهوم هو أمتداد لمفهوم التفحص السمح (Empathy)، قد يساعد على تطوير العلاقة بين وسائل الاتصال وجمهورها [٣]

فأستعمال الاشارات والرموز للاتصال، انما تعتمد على الاتفاق حول تصنيفات النظر الى الاشياء أو التصورات عند انتاج المعلومات أو خزنا او تسجيلها، وهذه التصنيفات ، هي ضرب من ضروب التمثيل، ووسائل الاتصال هي مصدرها المهم

---

[١] د.سمير محمد حسين، الاعلام، والاتصال والرآي العام ، عالم الكتب (القاهرة ١٩٩٣) ، ص٩٦.

[٢] خوان ديان يورد تييق : وسائل الاتصال والتنمية الريفية ، ترجمة عرفان سعيد، مجلة الفنون والاذاعة العدد(١٣) ، معهد التدريب الاذاعي والتلفزيوني (بغداد – ١٩٧٩) ص ٦٩.

[٣] صلاح الدين الحافظ : حق الاتصال وحرية الاعلام ، مصدر سبق ذكره، ص١٢.

للتمثيلات الجمعية، كما يخبرنا دوركهايم . لأنها توضح لنا الخطوط الكنتورية للحضارة والمجتمع [١]

ويطرح آرثر بيرجر دراسة الخطاب الإعلامي بوصفه نوعاً من النقد الثقافي، ويحدد أهم النظريات لثقافة الوسائل الجماهيرية، كما يوردها الغذامي[٢].

أولا: نظرية الاستخدام الإشباع. وفي هذه النظرية يفرض النظر عن اثار الإعلام الجماهيري على الناس، ويتجه عوضاً عن ذلك الطرق التي يسلكها الناس، لكي يستخدموا الإعلام لإرضاء حاجاتهم ورغباتهم، وفعل المشاهدة ، هنا يقوم على عنصرين هما المشاهدة والايجابية وليس السلبية، وعلى المشاهدة التي تقوم على الاختبار الواعي للمادة المرغوب فيها.

ثانياً: نظرية الاعتماد: وهذه النظرية تقف على حالات الاستقبال التي يعتمد فيها الناس اعتماداً كلياً على المشاهدة كمصدر للمعلومات والتوجيه، وكذلك الحالات التي ينشأ منها لدى الناس حسن التسليم عبر اعتمادهم على الوسيلة الإعلامية ، خاصة حينما تحدث إحداث اجتماعية وسياسية كبرى ويشعر الناس بالخوف والفجيعة، حتى يصبح الإعلام هو مصدر الأمان الوحيد.

ثالثاً: نظرية الجدولة ، وهذه النظرية ، تدخل في دراسة الحالات ، التي يجنح فيها الخطاب الإعلامي الى فرض جدولة ذهنية مقررة تجري عبرها برمجة أذهان المشاهدين ومن تم برمجة خيارات المشاهدين الاجتماعية والسياسية، والإعلام هنا لا يقول للناس كيف يفكرون، ولكنه يقرر لهم الاشياء التي يجب ان يفكروا فيها ، وبهذا تم البرمجة برمجة الأشخاص والمجتمعات.

---

[١] ميشيل هارا الامبوس : اتجاهات جديدة في علم الاجتماع ، ترجمة د.احسان محمدالحسن ،بغداد ١٩٨٩،ص٦٧.

[٢] عبد الله الغذامي : الثقافة التلفزيونية ، سقوط النخبة وبروز الشعبي ، مركز الثقافة العربي ، الدار البيضاء ، (الرباط ، ٢٠٠٤) ، ص١٦٧ .

رابعاً: نظرية الاستنبات: وهي نظرية تركز على العلاقة بين الحقيقة التي تقدمها الوسائل الإعلامية والتلفزيونية خاصة، وبين ما يعلمه المشاهدون على انه حقيقة، وأصحاب هذه النظرية ، يرون إن الإعلام والتلفزيون ، خاصة يقدمان حقائق مشوهه عن الواقع وكمثال يأخذون أخبار البرامج وكمية الإجرام ودرجة خطورته وعن الحياة وكم هي خطيرة ، وفي حالة المشاهدين المدمنين، فأن الصورة الإخبارية هذه سترسخ في أذهانهم على الرغم من درجة المقالات فيها ، أي أنهم يختزنون عن الحياة صوراً غير واقعية .

خامساً: نظرية حراسة البوابة – وهي نظرية تهتم بأفعال الإفراد على وجه التحديد وهم الأشخاص الذين بيدهم القرار فيما يجري تقديمه ، ومن مثل معدي الإخبار حينما يقررون ما يعرض وما يعرض وما يجب وهذا يتضمن تقرير الخيارات من حيث حراستها وينصبون أنفسهم لهذا الدور وهذا يتضمن تصنيع الخيارات من حيث تقرير ماهو مهم وتقرير مايريد الناس معرفته وقد يصل الأمر تقرير حاجة المشاهدين الحكم بها وعليها ،هذه مصفاة ذهنية يمارسها حراس البوابة على فعل المشاهدة. (*)

سادساً: نظرية التدفق المزدوج وأصحابها يجادلون حول تصور يرى ان هناك أشخاصا وهناك قادة رأي ، وهؤلاء القادة يلعبون دوراً في طريقة تأثير الوسيلة الإعلامية في المجتمع والإعلام على هذا المفهوم لا يؤثر على الإفراد تأثير مباشر، ولكن تأثير الوسيلة الإعلامية في المجتمع والإعلام على هذا المفهوم لا يؤثر على الإفراد تأثير مباشراً، ولكن التأثير يحدث عبر طريقتين مزدوجتين أولاهما هي ان قادة الرأي ذاتهم يتأثرون بداية بما تطرحُه وسائل الإعلام، وهولاء القادة غالباً مايكونون من النخبة الاقتصادية والاجتماعية، وتأتي بعد ذلك الطريقة الثانية في صناعة التأثير حيث إن أولئك القادة النخبويين سوف يؤثرون على الناس المرتبطين بهم تبعاً لتأثرهم السابق أي نهم ينقلون التأثير الإعلامي عليهم إلى إتباعهم والموالين لهم ،وهنا يلعب القادة النخبويون دور حراس البوابة ، ولكنها حراسة على المجتمع بإطلاق ،وليست على المؤسسات الإعلامية.

(*) عبدالله الغذامي : الثقافة التلفزيونية سقوط النخبة وبروز الشعبي، ط١، المركز الثقافي العربي (الدار البيضاء ، ٢٠٠٤) ، ص١٦٧ .

سابعاً: نظرية الصحن الحلزونية، وهي نظرية تقول ان النمط التعبيري عن الافكار يرتبط بإحساس الفكرة ، وكلما كان لدى المرء ، أحساس بان فكرته فردية أو لا تخطئ بقبول كبير مال إلى التكتم عليها ولجأ إلى الصمت بينما العكس صحيح، حيث ان الذين يشعرون بأن أفكارهم ذات قبول عريض يميلون إلى إعلاء صوتهم، ومن هنا تبدو أفكار الأكثرية اعلى من حجمها الحقيقي وفي المقبال ستبدوا أفكار الأقلية اصغر من حجمها الحقيقي بكثير .

لقد اعتبر ماكلوهان (Mclowhan) ان المحتوى للرسائل شيء عرضي، فالاهم هو الوسيلة في حد ذاتها، التي تفرض على المجتمع نمط خاصاً في التفكير والاتصال ، أي ان الرسالة هي اساس الوسيلة، وهي التي تؤثر في طبيعة الرسالة شكلاً ومضموناً [١]

وعلى هذا الاساس فأن الثقافة في نظر (العزي) هي مرجعية ثابته في التاريخ وتتجدد بالعمل والممارسة، فيما الوسيلة قد تولدت في فضاء الثقافة وسعت الى التعبير عن مظاهر هذه الاخيرة، وأن كانت وسائل الاتصال انتجت ما يسمى الثقافة الجماهيرية، فأنها لم تصبح الثقافة في حد ذاتها، كما أن الثقافة الجماهيرية وليدة المجتمع الجماهيري وليست العكس [٢]

وعليه فأن الاتصال وبمعناه الايجابي كما يذهب (الهيتي) أداة بالتغير وسيلة التوجيه ولأنه يتولى مهام الاعلام والتربية والتعليم والتثقيف والارشاد والتدريب والتنشئة الاجتماعية وهذه المهام تشكل جوهر الثقافة التي يقوم عليها بنيان المجتمع، لان الاتصال يمكن ان يمهد عن طريق تهيئة الامان وغرس الاتجاهات والمهارات لمقابلة المواقف المتوقعة [٣] ويرى الاخير في أن الاتصال يختلف في وسائله وأساليبه ونظمه تبعاً لثقافة المجتمع، ولهذا من الصعب ان نجد في بلدين مختلفين نامين انظمة ووسائل واساليب اتصالية ومتماثلة تمام التماثل [٤]

منذ زمن اليونان وحتى الأزمنة الحديثة، تعلق العلماء بموضوع الاتصال، ونقلوا من النظرات التأديبية الى الموضوع السياسي والنفسي والأنثروبولوجي والمعماري، وظهرت

---

[١] عبد الرحمن عزي، الثقافة وحتمية الاتصال ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢١.

[٢] المصدر السابق نفسه ،ص٢١.

[٣] هادي الهيتي : الاتصال والتغير الثقافي مصدر سبق ذكره، ص١١٠

[٤] المصدر السابق نفسه، ص ١١٤ .

من خلال ذلك العديد التفسيرات الاخرى من التفاعل البسيط الذي تحدثه التجربة في العقل البشري كما يذهب ريتشارد (I.A.) الى وضع خمسين نمطاً يمكن أن يحلل اليها الاتصال [١]

وعلى اثر ظهور تقنيات الاتصال، جذب هذا النمو الظاهر على هذه التقنيات، جذب انتباه العديد من الاختصاصين الذين حالوا إخراج الاتصال كمظهر معين باهتمامهم ، ومعه العلماء النفسانيون في دراستهم عن السلوك للإفادة في تحقيقاتهم، وفعل مثل ذلك علماء الاجتماع إشكال مختلفة من الاتصال التي فيها تظهر اساطير او اساليب معيشة، والتقاليد العابرة من جيل الى جيل من مجتمع الى اخر، وكذلك قام العلماء الاقتصاد والسياسين وعلماء الرياضيات والمهندسين حالوا تحديد وقياس مكونات المعلومات المستعملة ، وترجمة الأنواع المختلفة من الرسائل الى كلتى اجرائتهم المصاغة بشكل مختلف عن عما شكله الفنانون أو المصممون ، أو الصناع او الكتاب ، وآخرون يتعلقون بالتأثيرات العامة للأنواع المختلفة للاتصال [٢]

أن الاشارات ، اشارات ورموز ، ثلاث مكونات ذات علاقة بعمليات الاتصال وجدت في كل الثقافات المعروفة ، وهذه الثقافات تستعمل الاشارات والرموز لحمل الرسائل وبشكل ملائم، وتنتشر بين الناس بشكل جماعي، وتتحول المجتمعات الى معجم مجتمع الاشارات التي يحتاجونها، فالخلاف النشيط التي يتركز الآن في تأثير الاتصال العامة على المشاهدين ليس فقط في الأمور التي تتعلق بالرأي العام او أساليب الحياة او الأذواق هو عاكس فعال للقيم والأخلاق. هو موجود في كل مكان. [٣]

يلتقي الاتصال مع الثقافة كون عناصر الالتقاء والتكامل، أكثر من مكونات الاختلاف والتقاطع، فالثقافة تنحصر وتؤكد أن لم تستخدم وسائل الاتصال الذي يضمن لها الشيوع والانتشار فيما وسائل الاتصال ستظل بلا جدوى ، اذا لم تجهزها الثقافة بالمعارف والعلوم والمعلومات فضلاً وتأثيرا فيما بينها . وهناك ثلاث مظاهر لهذه العلاقة [٤] .

---

[1] Http.wwbritamnnica.com.

[2] www.britannica.com

[3] Libal.

[٤] يحي الحياوي . شمولية الاتصال ٨٩.

المظهر الاول – تتفيأ شمولية الاتصال . من خلال ابراز الخصوصيات الثقافية ، وتقسيمها على نطاق واسع على نقيض عهود حالت وسائل الاتصال دون نقل المعطيات والرموز خارج الفضاء الواحد بسبب ارتفاع التكلفة او سقف التجهيزات .

المظهر الثاني – ان شمولية الاتصال لا تدفع فقط بجهة في تقسيم ، الثقافات المحلية والوطنية ،بل و ايضا بجهة افراز خصوصيات يضيف لعهود طويلة لصيقة لبعضها ومحيطها المباشر .

المظهر الثالث – قدرة شمولية الاتصال على افراز صناعات ثقافية لخصوصيات تبقى محلية في غياب الوسائل والادوات اياها .

ان لوسائل الاتصال تأثيرا ملموسا في ثقافة الامم والشعوب ، ولكن هذا التأثير يبدوا محدداً أذا وجه بعوامل اساسية تحد من قدرته ونجاحه في تحقيق المضامين التي سعى اليها من خلال عملية الاتصال، ومنها [١].

ا –الجماعات المرجعية التي ينتمي اليها افراد المجتمع ومثل القبيلة والجماعات الدينية والثقافية التي يرتبط بها الافراد تحت مواثيق وعهود تربي عليها المجتمع ، فاذا ما نشا لدى هؤلاء من افكار وثقافات ، سينتهي استبدالها بمجرد بث رسالة اتصالية تحمل افكاراً معاكسة ، لذلك فان التأثير قد تنقلب الى مواجهة ورفض صريح

ب– قادة الراي والتوجيه في المجتمع ، لهم اثرهم في العملية الاتصالية ، نجاحا وفشلا ، ولاسيما اذا كانوا ممن يتمثلون برصيد فكري او مكانة فكرية وعقيديه ، وتزداد قيمة وأهمية قادة الرأي ايجابياً اذا كانوا على بينة واضحة ، ويملكون وسائل الاقناع ، وفق اسس وافكار تحاور الفعل والمنطق وقد لخص كوبرز (Coopers) في بحثهِ الذي نشر عن الانتشارية (الانتقال والتقبل) ضمن كتاب الأنثروبولوجيا المعاصرة الذي اشرف عليه توماس (Thomas) عام ١٩٥٦ ، أهم وجهات النظر ، التي يرغب الباحث بإيرادها لارتباطها بمفهوم الاتصال الثقافي ، وقد ترجم محمد رياض تلك النقاط في كتابه الانسان ومن أهمها [٢]

اولاً : الثقافة والانسان منذ نشأته متزامنان ،فان التاريخ في اوسع معانيه يشمل على كل الفترة التي ظهر فيها الانسان على الارض حتى اليوم .

---

[1].WWW.Albaain.com.

[2]www.Alwatan.com.

ثانيا : ان الانتشار الثقافي ودرجة انتقالية تقبله حقيقة واقعة .

ثالثا : الانتشار الثقافي لا يمثل كل أحداث التاريخ ودراسة عناصر الثقافة لا تحل محل الوثائق التاريخية لكنها تعطي اضافات مهمة من هذا الاتجاه التاريخي .

ان فكرة الدوائر الثقافية ، كانت في مجموعها وسيلة ادق من افكار المدرسة الانتشارية الثانية التي تأسست في بريطانيا ، على يد عالم التشريح البريطاني أنتوني سميث (Anthony Smith) الذي كان يرى بان الثقافة الانسانية نشأت على ضفاف النيل وازدهرت في مصر القديمة منذ حوالي خمسة الاف سنة قبل الميلاد تقريباً ، وعندما تأخرت الظروف وبدأت الاتصالات بين الجماعات والشعوب انتقلت بعض مظاهر تلك الثقافة المصرية القديمة الى بقية العالم [١]

ويرى مجموعة من العلماء التطوريين الى ان تاريخ الانسانية وتاريخ الثقافة يمثل خطا متصاعدا من العادات والتقاليد والتنظيمات والأدوات والآلات والأفكار ، وان البشرية مرت بمراحل ثقافية تتدرج من الأشكال غير المعقدة إلى الأشكال المعقدة فالأكثر تعقيداً ، وهذا المتصاعد من الأسفل إلى الأعلى متشابه في اجزاء العالم نتيجة الوحدة النفسية لبني الانسان في كل مكان وزمان [٢] .

وعليه يفرض دعاة هذا الاتجاه الى ان الاتصال بين الشعوب المختلفة ، قد نتج عنه احتكاك ثقافي وعملية انتشار لبعض السمات الثقافية ، أو كلها ، وهو ما يفسر التباين بين الشعوب وعملية الانتشار تبدأ من مركز ثقافي محدد لتنتقل عبر الزمان الى أجزاء العالم المختلفة عن طريق الاتصالات بين الشعوب [٣]

اما أفكار ا.موس (A .moeas) فيطرح مفهوم ما يسميه بالثقافيات أو الفسيفساء الثقافية (Cultureless) ، التي هي عبارة عن الافكار الجديدة المؤثرة في رسم بياني معلق لذلك فان نقطة البداية لا توجد اصلا ، وهي في الحقيقة ، وجود ارتباط مبدعين ، مثل العالم والفنان والاديب ، فهؤلاء هم الذين يخترعون ويصممون افكار جديدة تنقل لاحقاً لمختلف الجماعات ، وهذه الافكار تشمل قائمة لا متناهية تبدأ(بوصفة طبخ

---

[١] المصدر السابق نفسه.

[٢] بيرنيسلو مالينومسكي : النظرية التطورية الثقافوية . مجلة أركماني ، العدد ٢(السودان ٢٠٠٢) ،ص٢.

[٣] المصدر السابق نفسه ،ص ٢.

) وانتهـــاءاً باعقـــد الاكتشـــافات العلميـــة [١] وقـــد طـــور ليوفروبينـــوس (Leofropenos) فكرة انتقال الثقافات غبر المحيطات بادعائهِ حدوث انتشار ثقافي عن طريق مفهوم الدائرة الثقافية في الاثنولولجيا وهو المفهوم الذي قال تطوره اللاحق في أعمال جرابيز (Grapiz) فكرة احادية منشأ الثقافة الانسانية [٢] .

(١) د. فضل دليو: تاريخ البحث في الاتصال ، مجلة الاتصال ، العدد (١١-١٢) معهد العلوم و الاتصال ، (الجزائر ١٩٩٢) ص ١٢١.

(٢) د. بيريسيلو فالينسكي : النظرية التطورية ،مصدر سبق ذكره ،ص ٣.